قراءة في كتاب

الإِسْلَامُ وَالبِيْئَةُ

قراءة: **لينا السقر**[١]

ملخّص

نقرأ في صفحات هذا الكتاب العلاقة الحيويَّة بين الإنسان وبيئته، ونرى التأكيد على مسؤوليَّة الإنسان في الحفاظ على التوازن البيئي الذي خلقه الله. فالأرض، بما تحتويه من مكوِّنات طبيعيَّة، تتطلَّب من الإنسان الاهتمام بها وعدم تدمير مواردها. من خلال منظور ديني وعلمي، يناقش الكتاب كيفيَّة تفاعل الإنسان مع البيئة وفقًا لتعاليم الشريعة الإسلاميَّة التي تدعو إلى إعمار الأرض والاعتناء بها. كما يشير الكتاب إلى خطورة التلوُّث والإهمال البيئي نتيجة تجاهل هذه المبادئ.

يتناول الكاتب ضمن فصول كتابه «الإسلام والبيئة» مسؤوليَّة الإنسان في استثمار ثروات الأرض بشكل مستدام، مع التأكيد على أنَّ الإنسان ليس مجرَّد مخلوق يسعى لتحقيق رغباته، بل هو راعٍ للأرض والمخلوقات من حوله. ويُبرز أهمّيَّة الالتزام بالأوامر الإلهيَّة التي تحافظ على البيئة وتحقيق التوازن في الحياة. مضافًا إلى ذلك، يُشدِّد الكتاب على ضرورة السعي إلى الرزق بالطرق المشروعة والحفاظ على نظافة البيئة والروح والجسد. ويختتم الكاتب بتأكيده على أهمّيَّة التعايش السلمي بين الأديان والشعوب كونه جزءًا من مسؤوليَّة الإنسان في الحفاظ على سلام المجتمع.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الإنسان، القرآن الكريم، الموارد الطبيعيَّة، الأوامر الإلهيَّة، الأعمال السيِّئة، الأعمال الحسنة، المدينة الفاضلة.

١ - مترجمة، من سوريا.

Reading a Book

Islam, Environment

Ms. Lina Al-Saqar [1]

Abstract

In this book, we explore the vital relationship between humans and their environment, emphasizing humanity's responsibility to preserve the ecological balance established by Allah. The Earth, with all its natural components, requires human care and the protection of its resources. From both religious and scientific perspectives, the book discusses how humans should interact with the environment in accordance with Islamic teachings, which advocate for the Earth's cultivation and preservation. It also highlights the dangers of pollution and environmental neglect resulting from the disregard of these principles.

Within the chapters of his book, the author addresses humanity)s responsibility to utilize the Earth)s resources sustainably, emphasizing that humans are not merely creatures driven by their desires but are stewards of the Earth and all living beings. The book underscores the importance of adhering to divine commandments that safeguard the environment and maintain balance in life. Additionally, it stresses the necessity of seeking lawful means of sustenance and preserving the purity of the environment, the soul, and the body. The author concludes by affirming the importance of peaceful coexistence among religions and peoples as part of humanity)s responsibility to maintain societal harmony.

Keywords:

Environment, Humanity, the Holy Qur'an, Natural Resources, Divine Commands, Evil Deeds, Good Deeds, Ideal city.

1 - Translator - Syria.

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: الإسلام والبيئة
مؤلف الكتاب: آية الله الشيخ عبد الله الجوادي الآملي
دار النشر: دار الإسراء للنشر
سنة النشر: ١٩٦٨م.
عدد الصفحات: ٣٤٥.
اللغة الأصليَّة للكتاب: اللغة الفارسيَّة.
ترجمه للعربيَّة: مقداد الحيدري.

مقدِّمة

في عالمنا المعاصر، من الضروري التأمُّل في العلاقة التي تجمع بين الإنسان وبيئته، وكيف يؤثِّر كلٌّ منهما في الآخر. فمنذ أن خلق الله تعالى الكون، وضع فيه توازنًا دقيقًا من مكوِّنات الأرض والمياه والهواء والنباتات والحيوانات؛ حيث تعمل هذه العناصر كلّها بتكامل للحفاظ على استمراريَّة الحياة. ومن هنا، تظهر أهمِّيَّة مسؤوليَّة الإنسان في هذا النظام البيئي الشامل؛ حيث يُعتبر الإنسان المخلوق الذي وهبه الله القدرة على التأثير في الأرض، سواء بالإصلاح أم بالفساد.

يأتي هذا الكتاب ليُلقي الضوء على دور الإنسان في الحفاظ على البيئة وصحَّة الكائنات الحيَّة من خلال منظور ديني وعلمي. وقد حثَّت الديانات السماويَّة، وبالأخصّ الإسلام، على ضرورة الحفاظ على كوكب الأرض وعدم استنزاف موارده أو تدمير عناصره الحيويَّة. كما أكَّدت على ضرورة الاقتداء بالأوامر الإلهيَّة التي تدعو إلى إعمار الأرض، والتأكيد على مسؤوليَّة الإنسان في هذا الإطار؛ حيث أصبح التلوُّث البيئي والإهمال الذي يعاني منه كوكبنا اليوم نتيجة تجاهل هذه المبادئ الأساس، ما أدَّى إلى تدهور جودة الحياة بشكل عام.

نقرأ ضمن صفحات الكتاب المفاهيم المتعلِّقة بكيفيَّة الحفاظ على البيئة في ضوء الشريعة الإسلاميَّة، من أهمّيَّة استثمار ثروات الأرض بشكل مثالي بما يتماشى مع أوامر الله، وكيف أنَّ الاستعمار السلبي والتعامل غير المسؤول مع الموارد الطبيعيَّة له تأثيرات كارثيَّة على البيئة. ويُسلِّط الضوء على العلاقة الوثيقة بين الإنسان والبيئة من وجهة نظر دينيَّة، مؤكِّدًا على أنَّ الإنسان ليس مجرَّد مخلوق معني بتحقيق رغباته الشخصيَّة، بل هو راعٍ للأرض والمخلوقات من حوله.

نعرف تمامًا العلاقة بين الخالق -عزَّ وجلَّ- والإنسان والطبيعة، فالإنسان لا يمكنه أن يحقِّق التوازن والرخاء في حياته إلا إذا التزم بالأوامر الإلهيَّة التي تضمن حماية البيئة والحفاظ على أرزاقه. ومن هنا، تبرز أهمّيَّة العمل والسعي إلى الرزق بالطرق المشروعة، مع التأكيد على أنَّ الحفاظ على نظافة البيئة هو جزء من هذه المسؤوليَّة. يحثُّنا الكاتب على ضرورة احترام العلاقات الإنسانيَّة والاهتمام بها، مشيرًا إلى أنَّ التعايش السلمي والتسامح بين الأديان والشعوب هو جزء من مسؤوليَّة الإنسان في الحفاظ على سلام المجتمع بشكل عام.

عرض الكتاب

انطلاقًا من أهمّيَّة الحفاظ على البيئة وإبراز دور الإنسان في المحافظة عليها، يتطرَّق الكتاب إلى التحدُّث عن مسؤوليَّة الإنسان في الحفاظ على البيئة وصحَّة الكائنات الحيَّة، وتوضيح الأضرار الناتجة عن التلوُّث والإهمال البيئي. كما يشير إلى أهمّيَّة العلم والدين في تعزيز الوعي البيئي والتزام المجتمعات بحماية البيئة من أجل تحسين جودة الحياة.

يتضمَّــن الكتاب خمســة فصول رئيســة، يتحدَّث فيهــا الكاتب عن دور الإنســان وعلاقته بالبيئة وضرورة إعمار الأرض، مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة الشريفة. يتحــدَّث الفصل الأول عن ضرورة اســتثمار ثروات الأرض بصورة مثاليَّــة، وضرورة الاقتداء بالأوامر القرآنيَّة لعمارة الكون، وما ينتج من مخالفتها. ويبرز أيضًا أثر الاســتعمار السلبي على البيئة.

في الفصــل الثاني، يتناول الكتاب تعريف الإنســان بأكثر من منظور وعلاقته بالبيئة من جهة، ومــن جهة ثانيــة، يتحدَّث عن الاهتمام بالبيئة مــن وجهة نظر دينيَّة. وينتقــل في الفصل الثالث إلى الحديــث عن العلاقة بين الخالق -عزَّ وجلَّ- والإنســان والطبيعة، وضرورة التزام الإنســان بالأوامر الإلهيَّة، مبرزًا كيف يصبح العالم من حولنا سيِّئًا مع سوء النوايا والتصرُّف. يظهر في هذ الفصل الأرزاق الآتية من الطبيعة، وكيف تصبح الأمور أسوأ في حال استخدامها بشكل خاطئ. يخصِّص الكاتب الفصل الرابع للحديث عن العمل وأهمِّيَّته، وعن أهمّيَّة السعي للرزق بالطرق المشروعة. كذلك يتناول أهمّيَّة نظافة كل ما يوجد حولنا، من بيئة ومنزل وجســد وحتى الروح. أمــا الفصل الأخير، وهــو الفصل الخامس، يبــيّن الكاتب ضرورة احترام العلاقات الإنســانيَّة، بكافة أشكالها، مبينًا الفرق بين التعايش السلمي وبين التسامح مع الأهل. ويتسع بنقاشه ليشمل التعايش بين الأديان والشعوب.

وفي الختام، نجد أنَّ الكتاب لا يقتصر على طرح أفكار نظريَّة بل يسعى لتقديم إرشادات عمليَّة في كيفيَّة الحفاظ على بيئتنا من خلال التكامل بين العلم والدين، وكيف يمكن لكلّ فرد أن يكون جزءًا من الحلّ في مواجهة تحدِّيات البيئة الحاليَّة. وفي نهاية الكتاب يوجد عدَّة فهارس متعلّقة بالآيات القرآنيَّة المُستشهد بها ضمن الكتاب، وكذلك الأحاديث النبويَّة الشريفة، والشخصيَّات البارزة والتاريخيَّة، وأهمّ الكتب المرجعيَّة. يوضّح اســتخدامها لتأكيد أفكار الكاتب أنَّ التراث الدينــي والعلمي يشــكّلان معًا إطارًا شــاملاً يدعو إلى إعادة النظر في أســلوب حياتنا وعلاقتنا بالطبيعــة، وكيف أنَّ القرآن الكريــم ومن بعد الأحاديث النبويَّة الشريفة يعــدّان مصدرًا ومرجعًا لضمان اســتمراريَّة حياة خالية من العوز، مليئة بالازدهار والتعايش السلمي، وبيئة نظيفة بموارد كافية للجميع.

الفصل الأول: إعمار الأرض وتأسـيس المدينة الفاضلة بواسطة خليفة الله

أهمّ ما ورد في هذا الفصل أنَّ الله -تعالى- هو من خلق الإنسـان وجعله خليفته على الأرض، ووفَّر له كلّ المواد الأوَّليَّة في الطبيعة، ومنحه عقلاً ليبدع ويستخدم موارد الطبيعة بأشكالها كافَّة وبالطريقة الأمثل.

جميع الموارد مسـخَّرة للإنسـان، لذا يجب الاسـتفادة منها بأفضل الطرق، ولصالح أحسن الأعمال، وإلا تُعتبر الإسـاءة إليها وسوء استخدامها شكلٌ من أشكال الكفر. سخَّر الله -تعالى- الموارد والبيئة للإنسان ليسهِّل له الحياة، فالأرض للزراعة والتنقيب لاستخراج المعادن والثروات الثمينة. ومن يعرض عن الأوامر الإلهيَّة بالاستخدام الأمثل لكلّ موارد الطبيعة والبيئة، يتَّجه نحو ضيق الحياة وضنكها، ويبتعد عن الحياة الرغيدة السويَّة.

ومن جهة ثانية، يتحدَّث الكاتب في هذا الفصل عن دور القوى الاسـتعماريَّة بدمار الأرض، واستغلال الثروات وسرقتها، على حساب شعوب البلاد المستعمرَة، ما يؤدِّي إلى فقرها وتراجعها وتخلّفها عن ركبِ الحياة الطبيعيَّة والمثاليَّة. فالاسـتعمار يسـتغلّ قمح البلاد المحتلَّة وثرواتها الباطنيَّة والحيوانيَّة، ويضرّون بالماء، والهواء، والتراب، والبحر، والجبل، وسائر المخلوقات.

لذلك، أمر الإسلام قادة الدول الإسلاميَّة بالحفاظ على سلامة البيئة والأرض لمصلحة الناس عامَّة. فالمجتمع السـليم بيئيًّا هو سليم اقتصاديًّا وصحّيًّا وتجاريًّا. وكلّ ذلك لمصلحة الإنسان الذي يعتبر أسـاس نظم ثلاثة، وهي: النظام الفاعلي الذي يعتبر بكليّته بيد الله الواحد، والنظام الداخلي المؤلَّف من الروح المجرّدة والجسد، والنظام الثالث هو النظام الغائيّ الذي يتمثَّل بعدم موت الروح بعد فناء الجسد.

ولعلّ أهم هدف للحكومات الإسـلاميَّة هو تأسـيس المدينة الفاضلة الذي يجري من خلال تربية الناس تربية صالحة وسليمة، كمن يهدف للوصول لخلافة الله على الأرض. ومن الصفات التي تتحلَّى بها المدينة الفاضلة تتعلَّق بالبيئة والإنسان، منها:

- تأمين العلم والمعرفة للناس؛ لأنَّ الجهل سببٌ رئيس لانحطاط المجتمعات، وتراجع العقول.

- وضع خطوط ماليَّة عامَّة، ودعوة الناس للغرس والصيانة والحصاد والعمل، لبناء اقتصاد سليم.
- دعم الصناعات والمهن، وتأمين أجور مُرضية للعمَّال، وتعليمهم لاكتساب الفنّ بالمهنة، وتوفير وسائل الرفاه والعيش الرغيد.
- الانتفاع من الصناعات واستخدام التكنولوجيا بطريقة سلسة ومفيدة، والابتعاد عن طرق التخريب والدمار.
- يكمن رقيّ المجتمعات الإسلاميَّة بتنفيذ التنمية الحقوقيَّة، وتطبيق القوانين كاملة، والالتزام بتطبيقها للحفاظ على الاقتصاد والصناعة والثروات من الهدر والفساد.

من أهم صفات الحكومات الاسلاميَّة -أيضًا- رفض الظلم والوفاء بالعهود والمواثيق الدوليَّة، ومحاربة الاستعلاء والاستكبار، وتحقيق العدل الاجتماعي، والتشجيع على أداء الأمانة، والابتعاد عن الخيانة في الأموال والحقوق، وتربية المجتمع على احترام الآخر، واحترام القوانين والتشريعات التي تهدف للوصول إلى بيئة سليمة معافاة من الفقر والعوز والفساد. فالاحترام المتبادل لأمانات الآخرين يؤدّي إلى إقرار الأمن والحُريَّة، وتأسيس المدينة الفاضلة.

الفصل الثاني: صبغة العلوم الإنسانيَّة والدينيَّة في البيئة

علم الإنسان هو أحد أهمّ الموضوعات والعلوم التي درسها وناقشها كثير من المُفكِّرين الغرب والعرب، وأقاموا عليها أبحاثًا فلسفيَّة مُهمَّة. أبرز ما تناوله هذا العلم: هو فترة ما قبل الحداثة التي ادَّعى الغرب أنَّ الإنسان فيها كان فاقدًا لأي شأن ومنزلة، ومرحلة الحداثة التي نال فيها الإنسان مرتبة، أمَّا المرحلة الثالثة فهي مرحلة ما بعد الحداثة التي سيصل فيها الإنسان بشأنيّته إلى الكمال. ورغم تعدّد الصور والأفكار ضمن هذا العلم وأبحاثه، يعود الإنسان في القرآن الكريم إلى الله في النهاية بعد أن خُلِق في الحياة ليكون الخليفة القادر على البناء والتطوّر والحفاظ على ما منحه الله إياه، من بيئة، وطبيعة، وموارد، وشمس، وهواء، وماء ... إلخ.

أمَّا البيئة ومعرفة أصولها فهو حقّ من حقوق الإنسان. لذلك كان من الضروري التحذير والنهي عن تلوُّث البيئة والجو والطرق والأماكن العامَّة. لا تعني الطرق هنا مسارات المشي العاديَّة فقط،

وإنَّما المقصود بها المنافذ البحريَّة والبريَّة والحدود بين البلاد، وكلّ ما يؤدّي إلى شيء.

ضمن هذا الفصل، يتناول الكاتب العلاقة بين العلوم الشرعيَّة والعلوم الحديثة في إطار التفسير الفقهي؛ حيث يعتبر علم التفسير من الأدوات الأساس لفهم النصوص الدينيَّة وتطبيقها في الحياة اليوميَّة. يُسهم الاجتهاد الديني في استخراج الأحكام الشرعيَّة من النصوص من خلال قواعد شرعيَّة ثابتة، ويعزّز دور الفقه في التفاعل مع القضايا المعاصرة. في هذا السياق، يُشدّد الكاتب على أهمّيَّة التنسيق بين الفقه الإسلامي والعلوم الحديثة؛ حيث تقدّم الأخيرة آفاقًا جديدة تُساعد في توسيع الفهم الفقهي وتطويره. كما يُظهر الفكر الإسلامي انفتاحًا على تأثير العلوم الإنسانيَّة؛ إذ يُعتبر الاستفادة منها ضرورة لفهم أعمق للمشكلات المعاصرة وتقديم حلول مستنيرة. يبرز في هذا السياق ضرورة الالتزام بمنهجيَّة بحث علمي دقيقة تضمن التفسير الصحيح للنصوص الدينيَّة بما يتناسب مع تطوُّرات العصر.

يظهر الكاتب دور العلوم في تطوير الفكر الإنساني في ضوء الوحي. بداية، تُبرز أهمّيَّة فهم كيفيَّة استخدام الإنسان لقوّته العقليَّة والجسديَّة في ضوء التعاليم الدينيَّة، وكيف أنَّ الإسلام يعزِّز استخدام هذه القوى بطرقٍ تخدم الأهداف النبيلة، مثل صناعة الأسلحة الدفاعيَّة التي تساعد في حماية النفس والدين. كما يُشير إلى أنَّ الإسلام لم يقتصر على النصوص بل شجَّع على تطوير العلوم لاستخدامها في مجالات الحياة المختلفة، مع التأكيد على ضرورة توجيه هذه العلوم بما يتوافق مع القيم الدينيَّة. مضافًا إلى ذلك، يركّز على أهمّيَّة المنهج الإسلامي في السياسة؛ حيث يُعتبر الإسلام ركيزة أساس لفهم السياسة بشكل صحيح، ما يتطلّب فهمًا عميقًا للنظام السياسي الإسلامي الذي يتماشى مع المبادئ الدينيَّة. في هذا الإطار، أشار النص إلى كيفيَّة إدخال العلوم السياسيَّة في تعليم المجتمعات وتوجيهها بشكل يتوافق مع أحكام الشريعة. كما تناول النقاش في الأسلحة والتدريب العسكري، موضِّحًا أنَّ الإسلام قد وجَّه استخدام الأسلحة للأغراض الدفاعيَّة والحفاظ على أمن الأُمَّة.

تُختتم النقاط بمفهوم ازدهار العلوم في ضوء الوحي؛ حيث يُظهر التأثير العميق الذي تتركه المبادئ الدينيَّة على العلوم الطبيعيَّة، والسياسيَّة، والفكريَّة، ما يعزِّز من تطوّر المجتمع ويسهم في تحسين حياة الإنسان عبر تعزيز العقل واستخدامه في سبيل الخير العام.

الفصل الثالث: علاقة الأعمال الحسنة والسيِّئة بالحوادث الطبيعيَّة

يتناول الكاتب هنا مجموعة من المفاهيم الفلسفيَّة والدينيَّة حول العلاقة بين الوجود، والعلم، والمفهوم الإسلامي للخير والشر؛ حيث يجري تناول موضوعات مثل أهمّيَّة العلم في ضوء الوحي، وطبيعة الأسئلة التي تطرحها البشريَّة عن معاني الخير والشرّ، وأسباب وجودهما في الكون. كما يجري التطرُّق إلى مفهوم الفهم العقلي ودوره في التعامل مع هذه الأسئلة، ومدى تأثير التصوُّرات الماديَّة عن الوجود على تفكير الإنسان. ومضافًا إلى ذلك، يبيّن الكاتب مسألة النسبيَّة بين الخير والشرّ، وتوضيح كيفيَّة تفسير هذه العلاقة من منظور إسلامي؛ حيث يختلف النظر إلى الوجود بناءً على الفهم العقلي والعلمي المقترن بالتعاليم الدينيَّة. فبينما يرى بعضٌ أنَّ الشرّ يوجد إلى جانب الخير بصفته جزءًا من الكمال الإنساني، يشير النص إلى أنَّ التصوُّر الديني يطرح حلاًّ خاصًّا من خلال النظر إلى العالم باعتباره خلقًا إلهيًّا له غايات عُليا.

ومن ناحية ثانية يوضِّح الكاتب أهميَّة التفريق بين هذه المفاهيم وفقًا للأخلاق الإسلاميَّة وتفسيرها للأحداث والظواهر الطبيعيَّة، وكيفيَّة تأثير هذا الفهم على الاجتهادات والقرارات الإنسانيَّة، مؤكِّدًا على أنَّ العلم، في ضوء الوحي، يقدِّم إطارًا معرفيًّا يساعد في تفسير هذه الظواهر ومعالجتها في سياق قِيَم إنسانيَّة إسلاميَّة.

هنا، يناقش الكاتب الفرق بين مفهومي «من عند الله» و«من الله» كما وردا في القرآن الكريم، موضِّحًا كيفيَّة تمييز الأعمال البشريَّة التي تنبع من إرادة الله، والتفريق بينها وبين الظواهر الطبيعيَّة التي تقع بإرادته مباشرة. يُبرز كيف أنَّ الأفعال والظواهر في الكون مرتبطة بإرادة إلهيَّة تنظِّم الكون وتشمل جميع جوانب الحياة البشريَّة. كما يوضِّح كيف أنَّ القرآن يميِّز بين إرادة الله المباشرة في أعمال الكون وبين الأعمال التي يُسهم الإنسان فيها؛ حيث تعتبر هذه الأعمال «من عند الله» وتجري تحت إرادته العُليا. مضافًا إلى ذلك، يتطرَّق الكاتب إلى العلاقة بين الوجود والشرّ؛ حيث يعرض النصّ تفسيرًا فلسفيًّا عن هذه الثنائيَّة، موضِّحًا أنَّ الفهم الديني لهذه العلاقة يتأثَّر بالإرادة الإلهيَّة التي تحكم جميع الأعمال في الكون.

ويظهر دور الإنسان في تحويل النعمة إلى نقمة وفقًا للتعاليم القرآنيَّة؛ حيث يبيّن

كيف أنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد خلق النعم للإنسان وأعطاه إياها لتكون وسيلة للعبادة والطاعة، ولكن في حال استخدم الإنسان هذه النعم في المعصية أو الانحراف عن الطريق القويم، فإنَّ هذه النعمة تتحوَّل إلى نقمة عليه. ويوضِّح أنَّ الإنسان له الخيار في كيفيَّة استغلال النعم التي أنعم الله بها عليه، وأنَّه إذا استخدمها بما يرضي الله -سبحانه وتعالى- فإنَّها تظلّ نعمة، أمَّا إذا استخدمها في المعصية فإنَّها تصبح نقمة. وفي هذا السياق، يُستشهد الكاتب ببعض الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة التي تدعو الإنسان إلى شكر نعم الله واستخدامها في طاعة الله، ويبيّن كيف أنَّ هذا الفهم يرتبط بتوجيهات دينيَّة مستمرّة تحثّ على استغلال كل ما هو إيجابي في الحياة البشريَّة للأهداف السامية.

يعرض الكاتب أيضًا مفهوم «سقوط الإنسان في وادي الكبرياء والغرور»، مبيِّنًا أنَّ الإنسان يقع في اختياراته بين الكمال والشرّ. فبعض الأفعال الإنسانيَّة تعتبر مسوّغًا للشرّ كما ورد في الآيات القرآنيَّة؛ حيث يشير النصّ إلى أنَّ الشرّ ليس من طبيعة الله، بل هو نتيجة لاستخدام الإنسان لعقله في مسارات خاطئة قد تؤدّي إلى الفساد. ويصوّر الشر والشرور في الكون من منظور إسلامي، حيث يعتبر الشرّ ظاهرة مفهومة من خلال تعدد الأسباب التي تتعلَّق باستخدام الإنسان لعقله وإرادته بطريقة مغلوطة. ويشرح أنَّ النظريَّة الإسلاميَّة لا ترى الشرّ شيئًا قائمًا بذاته، بل هو ناتج عن فساد البشر في ظلّ نظام الخلق. ويحلِّل أيضًا كيفيَّة تطوّر هذا الفهم في الفكر الإسلامي، موضِّحًا كيف أنَّ الشر قد يُفسَّر بالاختيارات الخاطئة والجهل بالمسار الصحيح الذي يجب أن يتّبعه الإنسان لتحقيق العيش الصالح. بعد النظر لطبيعة علاقة الإنسان بالطبيعة في الرؤية الإسلاميَّة، يؤكِّد الكاتب أنَّها علاقة تسخير لا قهر ولا قسر، أي إنّ الإنسان لا يملك الطبيعة بصورة مستقلّة، ولا يفرض عليها فعله فرضًا خارجًا عن نظامها، بل ينتفع بها وفق سننها التي أودعها الله فيها. ويميِّز بين الفعل القسري الذي يقوم على الضغط والإكراه الخارجي، وبين الفعل المسخَّر الذي ينسجم مع طبيعة الشيء وقوانينه الداخليَّة، موضِّحًا أنَّ تسخير الطبيعة للإنسان قائم على هذا المعنى الأخير. كما يقرّر أنَّ هذا التسخير مرتبط بعلاقة أشمل، هي علاقة الإنسان والطبيعة معًا بالله؛ إذ إنَّ الكون كله خاضع

لإرادته، والإنسان مستخلف فيه ضمن حدود وقيم أخلاقيَّة. وبذلك تتأسَّس علاقة الإنسان بالطبيعة على الانتفاع المسؤول، وحفظ التوازن، والالتزام بالغاية التي خُلق من أجلها، لا على الاستبداد أو الإفساد.

الإنسان في الرؤية الإسلاميَّة ليس كائنًا منفصلاً عن العالم، بل هو مرتبط بنفسه وبالآخرين وبالكون كلّه من خلال علاقته بالله بوصفه المالك المطلق للوجود. وظيفة الإنسان الأساس هي إعمار الأرض وإدارة النعم الإلهيَّة إدارةً رشيدة، بحيث تتحقَّق بها مصلحة الإنسان واستقرار المجتمع. كما أنَّ تصرّف الإنسان في الطبيعة وسائر المخلوقات مشروط بالأمانة والإذن الإلهي، وليس تصرّفًا مطلقًا قائمًا على الاستغلال. ويوضِّح الكاتب أنَّ شكر النعم وحسن توظيفها سببٌ في بقائها وازدهارها، في حين أنّ الجحود وسوء الاستعمال يؤدِّيان إلى زوالها واضطراب الحياة. وبذلك تتأسَّس علاقة الإنسان بالعالم على المسؤوليَّة الخُلُقيَّة، والالتزام بالقِيم الإلهيَّة، والسعي لتحقيق الصلاح والطمأنينة والأمن في حياة الفرد والمجتمع. سلامة البيئة منوطة بسلامة المجتمع الذي يعيش فيها، وسلامة المجتمع مرهون بسلامة ثقافته وآدابه وقوانينه، وكلّ هذ مرتبط تمامًا بالإيمان بكرامة الإنسان خليفة الله.

الفصل الرابع: العمل في الطبيعة وتأثيرها في سلامة البيئة

يبيّن الكاتب في الفصل الخامس رؤية إسلاميَّة شاملة للعمل بوصفه عنصرًا مركزيًّا في بناء الإنسان والمجتمع وتحقيق سلامة البيئة والعمران. فالعمل في التصوُّر الإسلامي ليس نشاطًا اقتصاديًّا محدودًا بتحصيل الرزق، بل هو ممارسة وجوديَّة وخُلُقيَّة تعبرّ عن وظيفة الإنسان الاستخلافيَّة في الأرض، وعن التزامه بتحقيق مقاصد الشرع في الإصلاح والتنمية. وتؤكِّد النصوص أنَّ الحركة والسعي والعمل المستمر هي من مقوّمات سلامة الفرد نفسيًّا وجسديًّا؛ إذ إنَّ البطالة والكسل والركون إلى الفراغ يؤدِّي إلى اضطراب الفرد وتفكك الأسرة وإضعاف المجتمع، فضلاً عن آثارها السلبيَّة الدينيَّة والاجتماعيَّة.

ويوضِّح أيضًا أنَّ الإسلام أسّس لقيمة العمل على أساس الكرامة الإنسانيَّة، فربط بين الجهد والإنتاج من جهة، وبين الاستقلال، والعزَّة، والأمن الاجتماعي من جهة أخرى، معتبراً أنَّ استقرار

الأمــم وقوّتها مرهونان بجديَّة أفرادهــا في العمل وبذل الجهد. ويُبرز أنَّ القرآن الكريم والسُـنَّة النبويَّة قد أكّدا على الإتقان والاستمراريَّة في العمل، وعلى أنَّ كلَّ جهد نافع مهما اختلف مجاله، فهــو ضمن دائرة العبادة إذا صلح القصد وحُفظت القِيم. وتشــمل دائــرة العمل في هذا التصوّر الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والبحث العلمي والطب والهندســة، وكلّ نشــاط يسهم في حل مشكلات الإنسان وخدمة المجتمع.

ومن ناحية ثانية، يربط بين العمل والرؤية الكونيَّة الإســلاميَّة؛ حيث يُنظر إلى الوجود باعتباره ميدانًا للتكليف، لا فضاءً للاستهلاك أو الترف المجرّد. فالإنسان مطالب بالعمل وفق سُنن الكون وقوانينه، مستثمرًا الطبيعة دون إفسادها، ومسهمًا في إعمار الأرض وحفظ توازنها.

ونتيجة لما سبق، يقول الكاتب إنَّ إصلاح الدنيا لا يتنافى مع العمل ضد وظائف الآخرة؛ لأنَّه عزّة ورفعة للإنسان في الدنيا والآخرة.

الفصــل الخامس: تأثير حسن العشرة في سلامة البيئة

في الفصــل الأخــير يبــيّن الكاتــب رؤية الفكــر الإســلامي للعلاقة بــين الإنســان والعمل والطبيعــة والمجتمــع معًا، مؤكِّــدًا أنَّ إصلاح الدنيــا لا يتحقَّق بالركــود أو العزلة بــل بالحركة والعمــل المنضبط بالقِيــم الدينيَّة. ويبــيّن أنَّ العمل في الإســلام ليس مجرَّد وســيلة لتحصيل المنافــع الماديَّة، وإنَّمَا هو وظيفة إنســانيَّة وخُلُقيَّة مرتبطة بالاســتخلاف وإعمار الأرض، تقوم عــلى دافع خُلُقي يوازن بين المصلحة والمنفعة وبين الكرامة الإنســانيَّة والمســؤوليَّة أمام الله. كما يؤكِّد أنَّ ســلامة البيئة والمجتمع لا تنفصل عن ســلامة العلاقات الإنســانيَّة، ســواء داخل الأسرة أم المجتمع أم في إطار العلاقات بين الشعوب والأديان؛ حيث يدعو الإسلام إلى العدل، والإحســان، والوفاء، ونبذ الظلم والعدوان، وترسيخ قِيم السلم والتعايش السلمي دون التفريط بالحــق أو القبول بالباطل. ويبرز كذلك أهمّيَّة العمل الدؤوب والاجتهاد المســتمر في مختلف مجالات الحياة، مع رفض البطالة والكسل لما لهما من آثار نفسيَّة واجتماعيَّة وبيئيَّة سلبيَّة. وفي هذا السياق، يؤكّد أنَّ الاختلاف بين البشر سُنّة كونيَّة، وأنَّ التعامل معه ينبغي أن يكون بالحكمة والعدل، لا بالصراع والإقصاء، وأنَّ الأصل في العلاقات هو التعارف والتعاون. ويخلص إلى أنَّ

المنظور الإسلامي يقدّم رؤية شموليَّة متكاملة تجعل من العمل، والأخلاق، والعلاقات الإنسانيَّة، والتوازن مع الطبيعة أسسًا لتحقيق صلاح الفرد والمجتمع، وضمان الاستقرار، والأمن، واستمرار العمران الإنساني.